مدرسة الديوان و ابراهيم عبد القادر المازني: رؤية نقدية وأدبية

د/أشرف الدين .أ

أستاذ مساعد،قسم العربية، كلية م.س.م،كايمكولم

الملخص

يتناول البحث مدرسة الديوان بوصفها حركة تجديدية بارزة في الشعر العربي الحديث، مع التركيز على إسهامات إبراهيم عبد القادر المازني النقدية والأدبية ودوره في تثبيت مبادئها. ويبرز البحث رؤيته النقدية وتجربته الأدبية شعرا ونثرا، معتمدا المنهج التحليلي في دراسة نصوص مختارة، ليخلص إلى أن المازني كان ركيزة أساسية في توجيه مسار التجديد في الأدب العربي الحديث.

الكلمات المفتاحية ;ابراهيم عبد القادر المازني- مدرسة الديوان - وحدة العضوية - الاتجاه التجديدية

المقدمة

ابراهيم عبد القادر المازني(1890-1949) أحد الثلاثة الذين لا يكاد يذكر أحدهم إلا وذكر الآخران، إذ تجمعهم جميعا وشيجة فكرية واحدة.واتجاه أدبي لايختلف كثيرا في طابعه وصرامته وهم من أبرز رواد التجديد في أدبنا المعاصر.إن كتاب مدرسة الديوان في مصر في عام 1921 بعثوا المنافسة الأدبية بين القدامى والمحدثين، تلك المنافسة التى لا تخلوا منها تاريخ أدب. وهي دائما فترات أدب خصبة من تاريخ الأدب. وقد تتبعت مدرسة الديوان المبدأ الرومانسي في الأدب والنقد الأدبي الحديث، واستهجمت تقليد الكتاب المعاصرين للقدامى. وقد أحدثت مدرسة المازني ثورة في الأدب، ووضعت عنه أوزارا طالما أخرته بعيدا عن الركب، وجدبته طويلا عن الضياء، فما أن نفضوا عنه ركام الألفاظ والبديع حتى عني بالمعنى، وعنى بالموضوع واحتفل بالفكرة وانساب في التعبير.

مدرسة الديوان و ابراهيم عبد القادر المازني

وقد سادت مدرسة الديوان في النصف الأول من القرن العشرين مجالات الشعر والنثر والنقد. فأصبحت مصر بفضلها مركزا للنشاط الأدبي الحديث يبدأ بمدرسة الديوان.ومن هنا تجيئ القيمة الكبرى لمدرسة الديوان. لأنها أول من أرسى قواعد النقد الحديث في الأدب العربي الحديث في العالم

العربي كله. وبذلك أدخلت أعماقا جديدة وآفاقا ما كان للعرب بها عهد في جولته حول تذوق العمل الأدبي

هاجمت مدرسة الديوان، العقاد والمازني على الاتجاه المحافظ في الأدب العربي هجوما شنيعا على فقدان التجربة الشعرية والوحدة العضوية وصدق العاطفة، وهي اتجاه رومانطيكي واضح في الشعر الحديث .كان العقاد مولعا بالتجديد والابداع والابتكار وقد دفعه هذا إلى الإلمام في خلق مدرسة شعراء الديوان التي تعد أساسا للأدب الرومانسي في الأدب العربي. كان نقد المازني عنيفا إلا أنه كان يهدف إلى الإصلاح، وهو أول شعراء الجيل الجديد الذي كتب نقدا عمليا عن معاصريه من الشعراء وعن حافظ ابراهيم شاعر النيل;خاصة. وبنقده ظهر ناقد في الأدب العربي في مصر يجمع بين الأدب العربي والغربي

بتبحره فيها. يقول المازني: قال لي صديق لقد تاب حافظ عن قول الشعر وزجر غراب غروره فهلا اقصرت أنت ايضا عن نقده؟ فقلت لئن كان حافظ قد تاب فإن الناس لم يتوبوا، وما زال فيهم من يعده من الشعراء ويسميه شاعر النيل وشاعر الشرق. ولن أكف عنه حتى يثوب الناس إلى رشدهم ويعلموا أنه لا يعد إلا في رجال المكتبة الخديوية .ويتبع لو كان للأدب حكومة تنتصف له من المسيئ، وتكافئ المحسن لكان أقل جزاء حافظ على ما ارتكب من الشعر أن يبتاع ما اشتراه الناس[1]. والذى يراجع نقده يجده على نوعين: نوع إجتماعي يوجهه إلى بيئته وما يراه فها من تقاليد بالية، وعادات سخيفة، وتهافت على قشور الحياة دون لبابها، ولا بدع فقد نشأ في عهد كان المجتمع المصري فيه يتنازعه تياران قويان، تيار التقليد القديمة وتيار الحضارة الجديدة. وقد نشأ عن تلاطم هذين التيارين تلك الحملات اللإصلاحية التي عرف بها أدبنا في النصف الأول من القرن العشرين.

يقول الدكتور أحمد هيكل في كتابه "تطور الأدب الحديث" وقد ألف بعض الدارسين أن يطلقوا على هذا الاتجاه اسم "جماعة الديوان" أو "مدرسة الديوان" ووجهة نظرهم في نسبة هؤلاء الشعراء إلى الديوان مسوغة بأن هذا الكتاب الذي أصدره العقاد والمازني سنة 1921، يحوي أهم مبادئ هؤلاء الشعرا ء جميعا ويمثل حركتهم التجديدة التي قابلوا بها الحركة المحافظة. ولعل من الأفضل ترك هذه التسمية لسببين، أولهما أن كتاب الديوان قد ظهر بعد ظهور هذا الاتجاه الشعري بوقت ليس باليسير، ونسبة الاتجاه إليه توهم الارتباط الزمني بين الاتجاه والكتاب. وتوهم

[1] إبراهيم عبد القادر المازني، شعر حافظ، 1913، ص 14.

تأخر ظهور هذا الاتجاه عن زمنه أكثر من عشر سنين. وثاني السببين، هو أن كتاب الديوان "قد تضمن هجوما عنيفا على شكري أحد أعلام هذا الاتجاه ومؤسسيه. فمن الأفضل أن لا ينسب شعر شكري إلى كتاب قد حوى هجوما عليه وتجريحا له، ومن الأفضل كذلك، ألا ينسب الشاعر نفسه إلى كتاب بلغ من كلمه له أن وصفه بالجنون."[2]

علينا أن نعود إلى الوراء قرابة نصف قرن من الزمان، وعلى وجه التحديد في عام 1921 إذ ذاك نلتقي بروادها الشباب الثلاثة العقاد والمازني وشكري، الذين حملوا لواء أول مدرسة نقدية في الأدب العربي الحديث. وترتكز جهودهم في أول الأمر في انتقاد المعاصرين من الكتاب المقلدين للقدامى في الشعر والنثر. ذلك النقد الذي خرجوا به إلى المهتمين بالأدب في مصر في شكل كتاب الديوان. ومن اسم الديوان اشتق اسم "مدرسة الديوان" في الشعر والنقد الحديث.

وفي الحقيقة فإن جهودهم في هذا الصدد كانت قد بدأت مبكرا إلى ما قبل ذلك لعشر سنوات من هذا التاريخ أي منذ حوالي 1909 تقريبا.كانت أشعارهم في هذا الوقت تتفق مع المفاهيم الجديدة للأدب. وبهذا يكونون أول من كتب شعرا جديدا في الشكل والمعنى في دواوينهم في هذا الوقت.

وقد اتضحت المعركة بظهور دواوين شكري والمازني والعقاد وكتاباتهم في تأييد مذهبهم. ونقد المذهب المقابل. ومن أهم ما كان من تلك الكتابات المتقدمة زمنا، المقدمة التي كتبها العقاد للجزء الثاني من ديوان شكري سنة 1913، والمقدمة التي كتبها العقاد للجزء الأول من ديوان المازني، والتي يقول فيها: لقد تبوأ منابر الأدب فتية لا عهد لهم بالجيل الماضي، ونقلتهم التربية والمطالعة أجيالا بعد جيلهم، فهم يشعرون بشعور الشرقي، ويتمثل العالم كما يتمثله الغربي. وهذا مزاج أول ما يظهر من ثمراته، أن نزعت الأقلام إلى الاستقلال ورفع غشاوة الرياء والتحرر من القيود الصناعية. هذا من جهة الأغراض، وأما من جهة الروح والهوى فلا يعسر على البصير أن يلمح القطوب للحياة في أسرة الشاعر العصري الحديث. وحسب الأدب في العصر الحديث من روح الاستقلال في شعرائه، أنهم رفعوه من مبالغة الامتهان التي عفرت جبينه زمنا. فلن نجد

اليوم شاعرا حديثا يهنئ بالمولود وما نفض يديه من تراب الميتلا، ولن نراه يطري من هو أول ذاميه في خلوته، ويقذع في هجو من يكبره في سريرته، ولا واقفا على المرافئ يودع الذاهب ويستقبل الآيب.[3]

---

[2] د/ أحمد هيكل، تطور الأدب الحديث، دار المعارف، مصر، 1961، ص 165

[3] ديوان المازني، المقدمة، ص 12

انحسار الاتجاه التجديدي الذهني

إذا كانت الظاهرة الأولى من ظواهر الشعر في هذه الفترة، هي ظاهرة تجمد الاتجاه المحافظ البياني، فالظاهرة الثانية هي ظاهرة انحسار الاتجاه التجديد الذهني، فقد شهدت هذه الفترة انحسار هذا الاتجاه كما وكيفا، حتى أوشك أن أن يختفي من الحياة الأدبية. لولا جهود العقاد وإصراره وأصالته التي حفظت لهذا الاتجاه الاستمرار برغم ما أحاط به من معوقات.

وقد كان من أهم أسباب انحسار هذا الاتجاه ومن أهم مظاهره أيضا توقف شكري عن إصدار دواوين جديدة، بعد أن أصدر ديوانه السابع "أزهار الخريف" سنة 1918م، وقد كان هذا التوقف من جانب شكري بسبب تأزمه النفسي، نتيجة لإحساسه بخيبة الأمل، وعدم نيله ما كان يطمح إليه من مجد أدبي يحقق له إصدار سبعة دواوين، ثم نتيجة لعديد من الصدمات في حياته العامة وصلاته الخاصة، ربما كان من أقساها عليه إقذاع صديقه المازني في نقده، وإقرار صديقه العقاد لهذا النقد، بنشره في كتاب الديوان الذي أصدراه [4] معا، والذي اتهم فيه شكري بالجنون، وسمى صنم الألاعيب ونصح بالانصراف عن التأليف ليريح أعصابه المختلة ويريح القراء من جهوده العميقة[4] كذلك كان من أسباب انحسار هذا الاتجاه ومن مظاهره أيضا انصراف المازني عن الشعر، منذ أصدر ديوانه الثاني سنة 1917م. فقد اتجه إلى الصحافة وآثر القصة والمقال من بين فنون الأدب، حيث لم يعد يرى الشعر كافيا لسد حاجاته أولا، ولا للتعبير الطليق عما يريد أن يعالج من شؤون الحياة ثانيا، وقد حول تأملاته وذهنياته الشعرية إلى لون من السخرية الواعية أجاد استخدامه فيما كان يكتب من مقالات اجتماعية ومن قصص أو صور قلمية.[5]

وهكذا بقي العقاد وحده من زعماء الاتجاه التجديدي الذهني يواصل كتابة الشعر. ولكنه لم يجعل الشعر همه أو فنه الأدبي الأول. بل انصرف هو الآخر إلى الصحافة والكتابة السياسية أولا، ثم إلى التأليف الأدبي والإسلامي أخيرا.[6]

---

[55] ديوان المازني، ج 1، ص 48، ج2 ، ص85

[56] د. محمد منذور، محاضرات عن ابراهيم المازني

[56] شوقي ضيف، مع العقاد، ص 38

الخاتمة

ان مدرسة الديوان شكلت منعطفا حاسما في مسار الشعر العربي الحديث من خلال إرسائها أسسا جديدة للتجديد الأدبي قائمة على الصدق الشعوري والوعي الذاتي والالتزام بالتجربة الإنسانية. وقد برز إبراهيم عبد القادر المازني بوصفه أحد الركائز الأساسية لهذه المدرسة لما جمعه من إبداع أدبي ورؤية نقدية أسهمت في توجيه الحركة الأدبية نحو افاق أكثر تحررا وعمقا.

كما بينت الدراسة أن المازني كان عنصر فاعلا في صياغة المبادئ النقدية لمدرسة الديوان وداعما لدعوتها إلى تجاوز التقليد والجمود مع التأكيد على وحدة القصيدة وتكامل عناصرها الفنية. وأسهمت تجربته الشعرية والنثرية في ترسيخ خطاب أدبي يتسم بالصدق والبساطة والعمق. وبناء عليه يمكن القول إن إسهامات المازني تركت أثرا واضحا في تطور النقد والأدب العربي الحديث وجعلت من مدرسة الديوان مرحلة أساسية لفهم تحولات الشعر العربي في العصر الحديث

المصادرو المراجع

1. أحمد هيكل، تطور العربي الحديث في مصر، الطبعة الرابعة، دار المعارف، القاهرة، 1983
2. أحمد قبش، تاريخ الشعر العربي الحديث، دار الجيل، بيروت، 1971.
3. إبراهيم عبد القادر المازني، شعر غاياته ووسائطه، 1915.
4. أحمد عبيد، مشاهير شعراء العصر، في الأقطار العربية، بيروت، 1994
5. إسماعيل عز الدين، الشعر العربي المعاصر، دار الفكر العربي، 1966
6. أبو هيف عبد الله، النقد العربي الجديد، إتحاد كتاب العربي، دمشق، 2000.
7. أنيس مقدس، الإتجاهات الأدبية في العالم العربي الحديث، دار ملايين، بيروت، 1988.